

## الفصل الخامس

### العصر العتيق الأسرتان الأولى والثانية





## العصر العتيق (١)

سواء أكان توحيد مصر لأول مرة قد تم على يد الملك مينا أو ربما الملك نعرمر، فإن هذا الملك الأول لمصر الموحدة، كان يدرك أن هناك «مِصْرَيْن» متمثلتين في الوجهين البحرى والقبلى، وقد قام بفرض نفسه ملكاً على هذين الوجهين، وبالتالي فقد أصبحت شخصيته الملكية تتضمن فى ذاتها قوتين متعارضتين. ولكنه استطاع مع ذلك أن ينتج من هذه «الثنائية» أو الازدواجية نظاماً موحداً يقوم جوهره على عملية إعادة التنظيم أكثر مما يقوم على القهر والاختضاع.

وهذا النموذج الذى تحقق على يد أول ملك وحد الوجهين، أصبح فيما بعد نوعاً من السلطة له قدسية خاصة لم يستطع أى من خلفائه من الملوك الذين حكموا مصر بعده أن يغيره أو يبدل فيه.

وعلى سبيل المثال فإن شكل الجسم البشرى المنقوش بالنحت البارز على لوحة الملك نعرمر، حيث يظهر الرأس والأفخاذ والسيقان بزواوية جانبية [بروفيل] وتظهر العين والبطن والصدر من الزاوية الأمامية، ظل هذا الشكل ثابتاً لا يتغير فى جميع أعمال الرسم والتصوير والنحت الغائر والبارز طوال العصور التى مر بها الفن الفرعونى [الصورتان ٣٢، ٣٤].

(١) اصطلاح المؤرخون على تسمية عصر الأسرتين الأولى والثانية باسم «العصر العتيق» أو «العصر الطينى» نسبة إلى مدينة «طينه» التى تقع بالقرب من مدينة جرجا حالياً. ولهذا المدينة ينتسب الملك «نعرمر» أو مينا (؟) [الترجم].

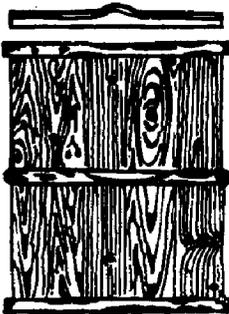
ومع ذلك، فبينما ظلت بعض المبادئ والمؤسسات التي أنشأتها الملكية مجمدة على ما كانت عليه منذ لحظة وجودها، فقد كان من العسير على بعض المبادئ والمؤسسات الأخرى أن تظل على ثباتها وجودها وسط عالم سريع التغير والتطور.

وقد وقع على عاتق الأسرات الأربعة الأولى مهمة تحقيق الانجازات التي ظلت راسخة طوال عصور الحضارة الفرعونية. وفي نفس الفترة الزمنية لتلك الأسرات الأربعة الأولى، كانت الحضارات المعاصرة لها في جميع مناطق الشرق الأدنى تفور بنوع من الغليان وهي تمارس عمليات استكشاف قدرات المطارق التي مهدت لها الدخول إلى عصر البرونز.

والحقيقة أن عصر هذه الأسرات الملكية المصرية الأولى كان يتميز بروح البحث الدؤوب عن حلول للمشاكل الحضارية التي توصل إليها المصريون عن طريق التجربة والممارسة العملية، حتى وصلوا إلى انجاز هذه الأعمال الفنية والهندسية التي بلغت أدق وأعلى المستويات. وعندما كانت تصل هذه الانجازات إلى مستواها المطلوب ولم يعد في الامكان تطويرها أو الإضافة إليها، كانت تتجمد على ما هي عليه، وتضاف إلى حصيلة المناهج المقبولة التي سادت دائما في الحضارة الفرعونية [الصور ٦١، ١٠٣، ١٠٩].

### ■ العنقبة الثقافية

أن معلوماتنا عن العصر العتيق الذي يتضمن الأسرتين الأولى والثانية تعتبر قليلة للغاية، فليس لدينا سوى قائمة بأسماء الملوك التي أعدها «مانيتون» وهو



(٤١)

الصورة (٤١)  
رسم لسكبال من الخشب كان يستخدم لكيال القمح، مأخوذ عن رسم حائطى بجدران مقبرة «حسى رع» بسقارة.



(٤٠)

الصورة (٤٠)  
الاله «بتاح» إله منقب. ويعتبر الإله الخالق ونصير الصنّاع.

كاهن مصرى عاش فى عصر بطلميوس فيلادلفوس، كتب تاريخ مصر باللغة اليونانية، ولكن للأسف لم تصلنا مدوناته الأصلية، إنما وصلت إلينا شذرات مشوشة وملخصة تضمنتها كتابات بعض المؤرخين التاليين لعصره والذين أشاروا إلى مقتبسات قاصرة من كتابات مانيتون الأصلية.

وبالإضافة إلى هذه المقتبسات، هناك بعض أسماء ملوك هذا العصر منقوشة على حجر «باليرمو»<sup>(٢)</sup> بشكل مشوه إلى حد كبير، بالإضافة إلى بعض القوائم بأسماء الملوك الذين حكموا مصر والتي أمر بنقشها بعض الفراعنة الذين حرصوا على تسجيل أسماء أسلافهم.

كذلك فهناك بعض المعلومات عن العصر العتيق [الاسترتان الأولى والثانية] تم استخلاصها من بقايا المقابر وأطلال الأضرحة المنهوبة التي يرجع تاريخها إلى هذا العصر والتي تم اكتشافها فى منطقتى أبيدوس<sup>(٣)</sup> وسقارة، والتي يرجع أنها كانت لملوك هذا العصر وبعض أفراد أسرهم أو تابعيهم [الصورة ٣٩].

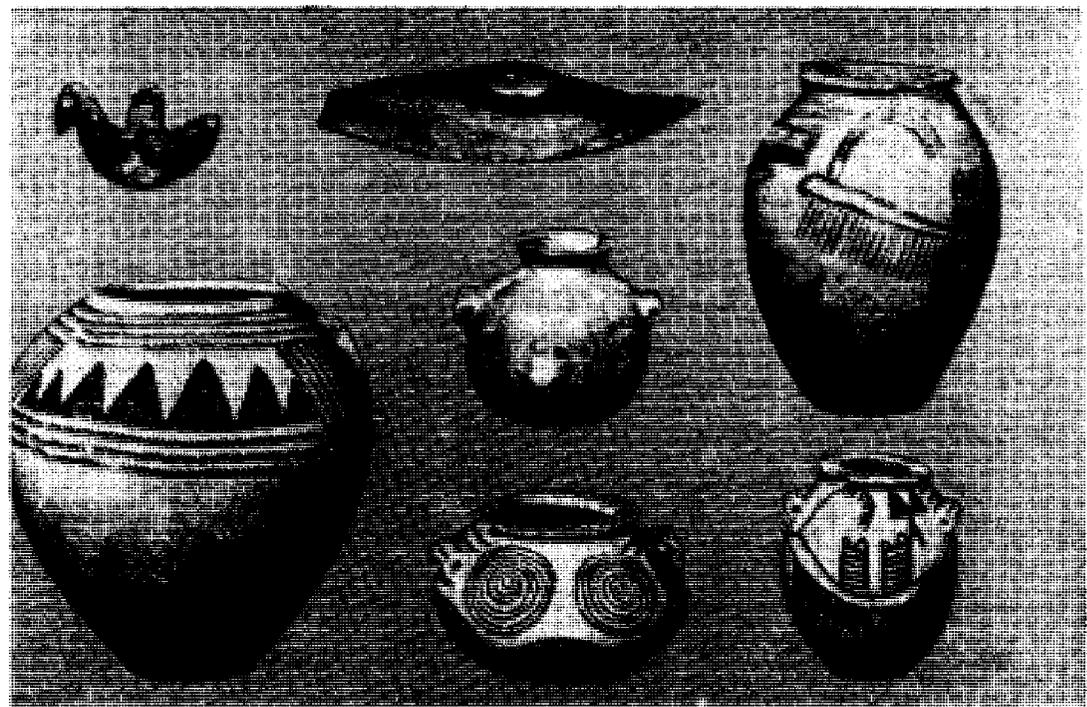
أما المعلومات التي تم استخلاصها من الكتابات التي يرجع تاريخها إلى هذا العصر فهي نادرة جداً بالإضافة إلى صعوبة تفسيرها أو معرفة معانيها.

ومن الشواهد الأثرية السابقة على هذا العصر والشواهد الأثرية اللاحقة له، يتبين لنا بوضوح أن «الخميرة» الاقتصادية والثقافية التي وضعتها عملية توحيد القطرين قد أصبحت تؤدي دورها الفعال فى عصر الأسترتين الأولى والثانية.

---

(٢) حجر باليرمو عبارة عن لوحة من حجر البازلت الأسود ولم يعرف مكان العثور عليه، وهو مهشم إلى أجزاء كثيرة، الجزء الأكبر منها محفوظ بمتحف باليرمو بجزيرة صقلية، كما يوجد جزء آخر منه فى المتحف المصرى بالقاهرة، وجزء ثالث فى مجموعة فلنדרز بترى بلندن. وقد نقشت عليه بالحفر الدقيق قائمة بتاريخ الأسرات الخمس الأولى مع أسماء ملوك الوجه القبلى والوجه البحرى الذين حكموا المملكتين المنفصلتين قبل توحيدهما [الترجم].

(٣) العرابة المغفونة حالياً. وتقع على بعد حوالى ١١ كيلو مترا جنوب غرب البلينا بمحافظة سوهاج. وعبد بها الإله «ختى امنتيو». وكان يعتقد بأن الإله «أوزيريس» دفن فيها. وكانت أمنية كل مصرى أن يحج إلى أبيدوس للتبرك. ومن أهم آثارها مقابر ملوك الاسترتين الأولى والثانية، ومعبد الملك سبتى الأول ومعبد الملك رمسيس الثانى [من ملوك الاسرة التاسعة عشرة] [الترجم].



(٢٥)

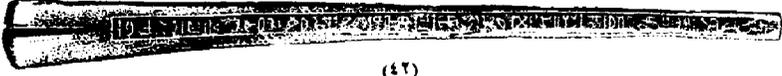


(٢٦)

الصورتان (٢٥) ، (٢٦)

فى الجبانات الواسعة فى منطقة نقادة والبأص ، عثر على الكثير من الأثار التى تدل على أن أسلوب حضارة جرزة المنسوبة إلى منطقة جرزة فى الشمال ، قد انتقل إلى مناطق الجنوب ، وأخذ يجلى بالتدرج محل أسلوب حضارة العمرة ، حيث أصبحت الأوانى الفخارية ذات لون أصفر يميل إلى البزرقالى ، ومزخرفة برسوم ذات لون أحمر ، وتمثل أشكالاً من المراكب أو السفن ذات المجاديف المتعددة ، والمياه المتوجة والتلال المثلثة أو الدوائر الحلزونية . وطرز مثل هذه الأوانى أصبحت شائعة ، وربما يرجع الفضل فى ذلك إلى اختراع « الحدافة » أو العجلة ذات الطليبة الدوارة التى تستخدم فى تشكيل الأوانى الفخارية . وبفضل السكاكين المصنوعة من الصوان ، أصبح من السهل تشكيل الفراغ الداخلى للأوانى . وفى الصف العلوى نرى أداة لسحق وطحن الألوان أو مساحيق التجميل ، ووعاء مضملاً على شكل طائر . وفى الصورة (٢٦) نرى آنية مصنوعة طبقاً لأسلوب حضارة جرزة .

• محفوظة بالمتحف الاسكتلندى الملكى بأدنبره . تصوير : نوم سكوت . وقد عثر على الآنية الكبرى بمنطقة البدارى . أما الوعاء الحجرى ووعاء الزينة فصدرهما مجهول .



(٤٢)

الصورة (٤٢)

أداة كانت تستخدم فى رصد النجوم وتنع حركتها، والأداة مصنوعة من قطعة من جريد النخيل .  
• محفوظه بمتحف شتاتلش ببرلين .



الصورة (٤٣)

هناك الكثير من التماثيل المعروفة للكاتب الجالس . ومن أشهرها هذا التمثال وهو لشخصية غير معروفة، وكذلك تماثيل الكاتب « كاي » [ أنظر الصورة ١٢٥ ] . وقد عثر عليها بمقابر سقارة والجيزة ويرجع تاريخها إلى عصر الأسرة الخامسة [ ٢٤٧٠ ق م ] . ويظهر فيها الكاتب فى وضع جالوسه التقليدى وساقاه معقودتان، والبردية التى يكتب فيها مفرودة فوق ركبتيه، ويده اليمنى فى وضع الكتابة . وجسم هذا التمثال ملون بلون برتقالى يميل إلى البنى، والشعر بلون أسود، والعيون مصنوعة من الكريستال والأبستر والبرونز . • محفوظ بالمتحف المصرى بالقاهرة . تصوير: ماكس هيرمر .

(٤٣)

وبطبيعة الحال فقد كانت مهنة الكتابة من أئزم الضروريات لعمليات إدارة وتنظيم العمل وتسجيله، فى دولة واسعة المساحة تحكم حكماً مركزياً منذ بداية عصر الأسرات وطوال عصر الدولة القديمة بأكمله [ الصورتان ٤٣، ١٢٥ ] .

وقد تضمن هذا النظام الإدارى العام — فى هذا الوقت المبكر من التاريخ — نظاماً ضرائبياً بالغ التعقيد، ولكنه محكم إلى حد كبير. ومن المرجح ظهور الأدوات الخاصة بكيال الحبوب فى عصر الأسرة الثالثة على أقل تقدير، حيث وجد نقش على جدران مقبرة «حيسى رزغ» يمثل مكيالاً على شكل وعاء أو برميل خشبى كان يستخدم فى كيل القمح [الصورة ٤١].

كذلك فقد وجد نظام لقياس الأطوال، مثله مثل نظام القياس الذى استخدم فى العصور الوسطى فى أوربا، بمعنى أنه كان يستخدم الأطوال النمطية للأطراف البشرية كالذراع والساعد والأصابع والأكف.

وبالنظر إلى أن فيضان النيل السنوى كان يؤدى إلى إزالة علامات الحدود التى تفصل بين الحقول وملكيات الأراضى الزراعية، لذلك فقد كان لزاماً ظهور نظام دقيق لقياس المساحات يؤدى إلى الدقة المتناهية فى إعادة تحديد المساحات القديمة التى أزالها مياه الفيضان.

وبالرغم من ثبوت معرفة قدماء المصريين للنظام «العشرى»<sup>(٦)</sup> فى عصر ما قبل الأسرات، وبالرغم من تطبيقاتهم الكثيرة للعلوم والمسائل الرياضية إلا أنه يمكن القول بأنهم كانوا يطبقون هذه العلوم بطريقة «براجماتية» طبقاً لما كانت تقتضيه حاجاتهم العملية. فقد كان فى إمكانهم معرفة الطرق الدقيقة لتحديد النسب بين الطول والعرض والارتفاع بالنسبة للمصاطب ذات الجدران المائلة إلى الداخل التى كانوا يبنونها فوق مقابر الأفراد، ونسب مقاسات الأهرام التى شيدها فى عصر الدولة القديمة. ولكنهم كانوا يطبقون جميع المسائل الرياضية

(٦) فى نفس العصر الذى اهتدى فيه المصريون الاوائل إلى علامات وحروف ورموز الكتابة، توصلوا أيضاً إلى رموز مفردة مبسطة للتعبير عن «العشرات» الحسابة ومضاعفاتها، أى المائة والألف والعشرة آلاف والمائة ألف والألف ألف، وتدل الشواهد الأثرية أيضاً أنهم وضعوا قواعد ضرب وقسمة العشرات ومضاعفاتها، كما سجلوا الجاميع العددية برموز وعلامات مرتبة متصلة بطريقة سهلة بحيث يمكن الوصول إلى معرفتها بنظرة عين سريعة [الترجم].

تطبيقاً عملياً واقعياً، ولم يثبت أنهم قد درسوا هذه المسائل الرياضية في حد ذاتها دراسة نظرية (٧).

كذلك فقد أحرزوا تقدماً هائلاً في معرفة الفلك في حدود الضرورة التي فرضتها عملية التنبؤ بمجذو الفضان السنوى للنيل. وثبت أنهم قد اخترعوا أداة عملية لرصد نجوم السماء حتى يتمكنوا من تحديد مواعيد المواسم والاحتفالات التي كانت تقام على مدار السنة على نحو صحيح ودقيق [الصورة ٤٢]، ذلك لأن مثل هذا المجتمع البدائي غير العلمى كان يعتبر أن تحديد مواعيد المناسبات المرتبطة بالعقيدة أمراً بالغ الأهمية. كما أن الفلك ورصد النجوم كان ذا أهمية قصوى في تحديد بعض النواحي المتعلقة بإقامة المباني أو القيام بالمشروعات الكبرى طبقاً لطقوس العقائد التي كانت سائدة.

وقد ازدهرت العلوم الفلكية في هليوبوليس التي كانت تعتبر مركزاً لعقيدة الشمس، وحيث كانت تجرى الأرصاد والقياسات لتحديد المواعيد والأبعاد الزمنية وكل ما يتعلق بدراسة السماء والأجرام السماوية. وليس من المستبعد أن دقة توجيه واجهات الأهرام ودقة تحديد نسبها وأبعادها وزواياها ترجع إلى فضل مهندسين ينتمون إلى هليوبوليس (٨).

وفي هذا العصر أيضاً تبين قصور التقويم القمري الذي كان مستخدماً في مصر منذ عصر ما قبل الأسرات، وحل محله تقويم شمسي أكثر دقة وأحكاماً، يقسم السنة إلى إثني عشر شهراً، ويتكون كل شهر من ثلاثين يوماً مع إضافة خمسة

---

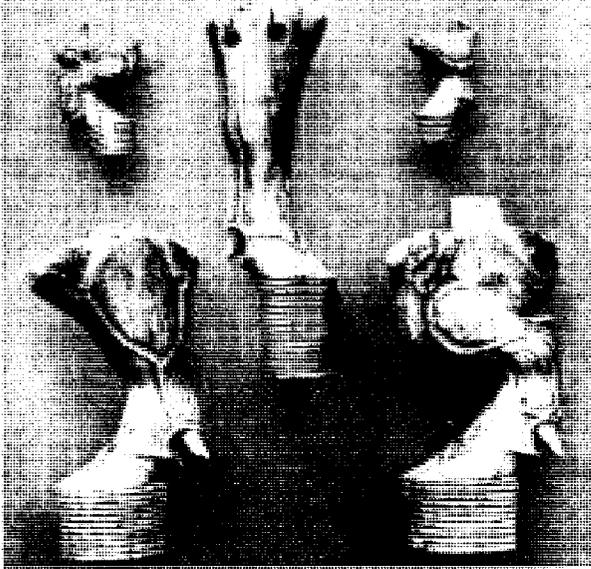
(٧) كانت الحاجة هي دافع المصريين القدماء نحو التطور في كافة ميادين حياتهم العلمية والعملية ولئن قال هيرودوت ان المصريين كانوا مهرة في العلوم التطبيقية وفي المسائل الفنية ولكن تنقصهم الموهبة في البحوث النظرية المحضة، أفليس هذا معناه انهم كانوا يطبقون قواعد ومبادئ ونظريات مسلم بها أو معروفة لديهم سلفاً؟ وعلى أية حال فانزلت هذه المسألة خلافاً ويلزمها الكثير من البحث، خاصة وان الكهنة وكبار أهل العلم من المصريين القدماء كانوا يصنفون معارفهم بطبيعة كهنوتية تكتنفها اسرار كثيرة [ المترجم ].

(٨) منذ أقدم العصور لعبت هذه المدينة دورها كمركز ديني وثقافي وتعليمي. وكانت تجرى فيها الدراسات العليا للفلك والعلوم الرياضية وعلوم اللاهوت ونظريات خلق العالم [ المترجم ].

أيام خصصت للاحتفال بالأعياد. وهو التقويم الذى ظل مطبقاً لمدة طويلة إلى أن تم تعديله إلى التقويم الثالث المطبق حالياً<sup>(٩)</sup>.

### ■ الحضارة المادية:

أن البقايا والآثار التى يرجع تاريخها إلى العصر العتيق والتى عثر عليها فى المواقع البالغة التخريب والتدمير فى كل من أبيدوس وسقارة، تعطينا لمحات سريعة عن أنواع من الحضارة المادية قد تتصف بالبداية كما تتصف أيضاً بالدقة والذوق الرفيع، وتبدو لنا فى بعض الأحيان كما لو كانت حضارة تقليدية مستقرة ثبتت على قواعد وأشكال محددة، كما تبدو فى أحيان أخرى كما لو كانت نشطة التجريب والتطور [ الصورة ٤٤ ].



(٤٤)

#### الصورة (٤٤)

أرجل كراسى مصنوعة من العاج على شكل حوافر الثيران، ويرجع تاريخها إلى عصر الأسرة الأولى، وقد عثر عليها بمقابر هذه الأسرة بمنطقة أبيدوس [ أنظر أيضاً الصورة ١٠٢ ]. وقد حلت قدم الأسد بمخالبها محل حوافر الثور فى تشكيل أرجل الكراسى وقطع الأثاث فى العصور التالية.

• محفوظة بمتحف التروبوليتان بنيويورك.  
تصوير: قسم التصوير بالمتحف.

(٩) ربط المصريون القدماء تقويمهم بظاهرة ظهور النجم سوتس [ الشعرى الإيمانية ] متسقاً مع صعود الشمس على خط عرض أون/منف. وقسموا السنة إلى ثلاثة فصول يتكون كل منها من أربعة شهور. الفصل الأول هو «آخت» يبدأ فيه فيضان النيل. والفصل الثانى هو «پرت» ومعناه «الظهور أو البروز أو الخروج» أى خروج الأرض وظهورها بعد انحسار الفيضان وخروج النبات من باطنها. والفصل الثالث هو «شيمو» ويمنون فيه المحاصيل ويمتزنونها [ المترجم ]

## • الأواني الحجرية والفضارية

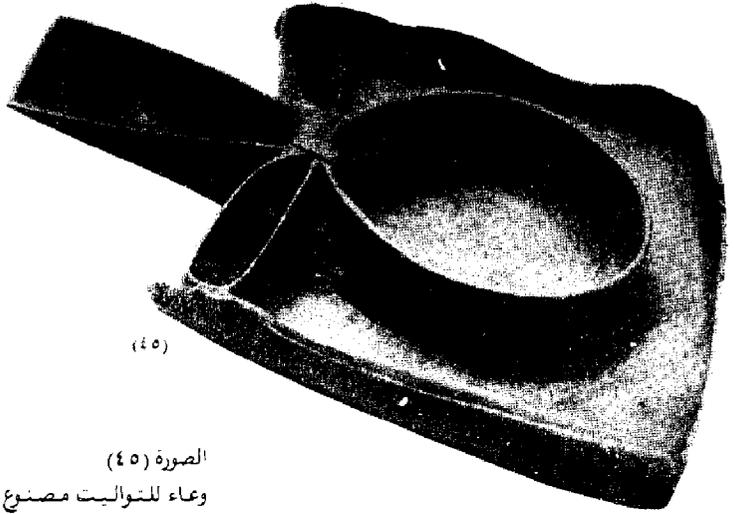
لقد استمرت صناعة الأواني الحجرية وتطورت بجرأة شديدة، فظهر الكثير من الأشكال والتصميمات الجديدة [الصور ٤٥، ٤٦، ٤٧]. أما صناعة الأواني الفخارية فقد أصبحت من الناحية الفنية أقل ذوقاً مما كانت عليه من قبل، وكادت أن تقتصر تلك الأواني على مجرد أداء الخدمة للمنفعة المنزلية الريفية. وربما كان لظهور «العجلة الدوارة» واستخدامها في صناعة الأواني الفخارية في بداية ذلك العصر، أثر كبير في الإسراع بهبوط المستوى الفني إلى هذا الحد.

## • صناعة النحاس:

وعلى العكس من ذلك فقد تطورت وازدهرت صناعات النحاس<sup>(١٠)</sup>، حيث عثر على الكثير من الأدوات والأسلحة والسبائك النحاسية في مقبرة هامة يرجع تاريخها إلى عصر الأسرة الأولى، ونرى ضمن هذه المصنوعات النحاسية الكثير من الطاسات والأباريق والأواني التي صنعت من رقائق النحاس المطروق. وتعتبر هذه الآثار النحاسية من العصر العتيق الأسلاف أو الأجداد الأوائل لسبب لا يمحصر من إنتاجات صناعة الأواني المعدنية طوال عصور التاريخ المصري القديم [الصورة ٤٨].

وتدل المصنوعات النحاسية التي يرجع تاريخها إلى العصر العتيق على أن المصريين القدماء قد استخدموا طريقة الطرق على النحاس البارد أو الساخن، كما استخدموا أيضاً طريقة صهر النحاس وصبه في قوالب.

(١٠) كان النحاس أقدم المعادن التي استخدمها المصريون الأوائل، ويرجع بعض المؤرخين ذلك إلى سهولة إمكان العثور عليه بالقرب من سطح الأرض مختلطاً بمواد أخرى يمكن صهرها وفصلها بجهود قليلة وتحت حرارة ليست شديدة. ويتصور بعض المؤرخين أن المصريين الأوائل اهتموا إلى استخراج معدن النحاس في بداية الأمر بطريقة عفوية، وذلك أثناء قيامهم بحرق وقود الأفران التي كانوا يحرقون فيها الأواني الفخارية، فإذا كان هذا الوقود يتضمن بعضاً من اختلاط النحاس فإن الحرارة كانت تخلص معدن النحاس من هذه الاختلاط فيظهر بريقه. كما قالوا أن المرأة المصرية القديمة ربما كانت أول من تنبهت إلى إمكانية استخراج معدن النحاس من مواد مثل «الدهنج أو الملائخيت» الذي كان يستعمل لتكحيل العيون، وذلك عندما سقطت قطعة من هذه المادة في موائد الأكوخ التي كانت تستعمل في طهي الطعام، فأنصهرت المادة وظهر النحاس [الترجم].



(٤٥)

#### الصورة (٤٥)

وعاء للتواليت مصنوع من الإردواز يرجع تاريخه إلى عصر الأسرات المبكرة. وهو مصمم على شكل علامتين من العلامات الهيروغليفية. في الوسط نرى العلامة «عنتخ» رمز الحياة، وفي الإطار الخارجي نرى العلامة «كا» التي ترمز إلى الروح والطعام، وهي على شكل ذراعين مرفوعتين.

• محفوظ متحف التروبوليتان بنويورك. تصوير: قسم التصوير بالمتحف.

#### الصورة (٤٦)

وعاء منحوت من قطعة واحدة صلبة من حجر الشبست وهو مقسم إلى أقسام رقيقة غير منتظمة. ومن المحتمل أن يكون هذا الوعاء قد صنع تقليداً لتماثيل مصنوعة من المعدن. وقد عُثِر عليه بمقبرة «سابو»، بسقارة ويرجع تاريخه إلى نحو عام ٣١٠٠ ق.م.

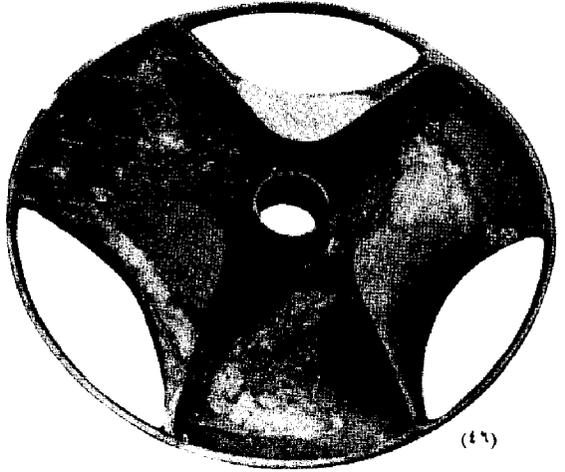
• محفوظ بالمتحف المصري بالقاهرة. والصورة بإذن خاص من البروفيسور

و. ب. إيميرى.

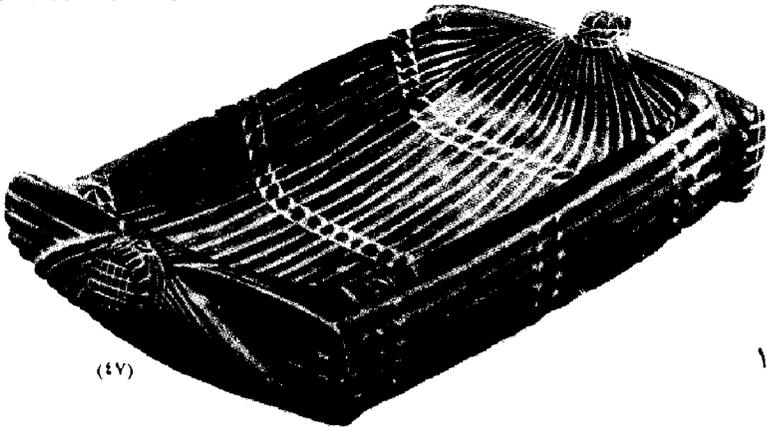
#### الصورة (٤٧)

وعاء من الإردواز وضع تصميمه على شكل سلة مصنوعة من الأعواد النباتية، ونقشت عليه العلامة التي ترمز إلى «الذهب». وقد عُثِر عليه بهرم زوسر المدرج بسقارة.

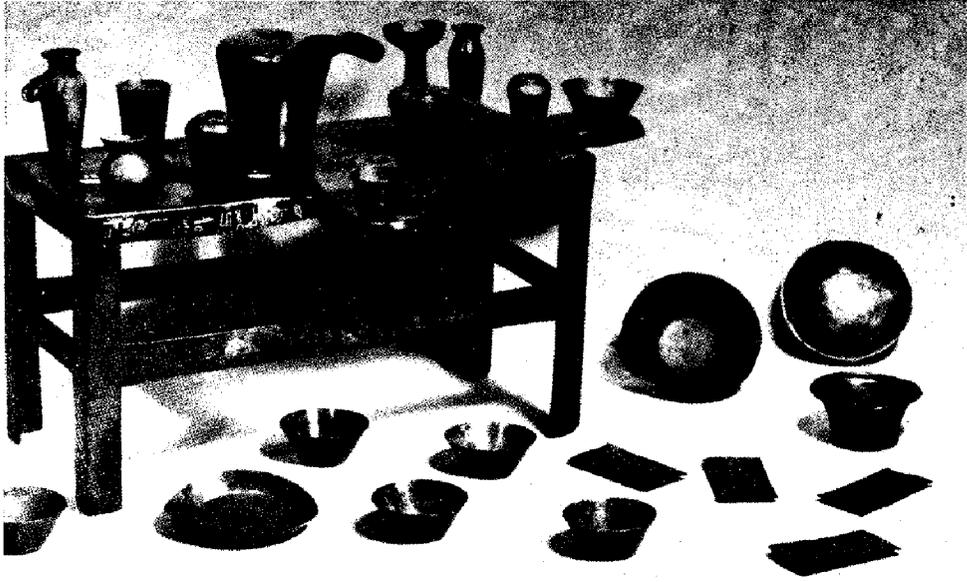
• محفوظ بالمتحف المصري بالقاهرة. تصوير: جيمس مورنير.



(٤٦)



(٤٧)



(٤٨)

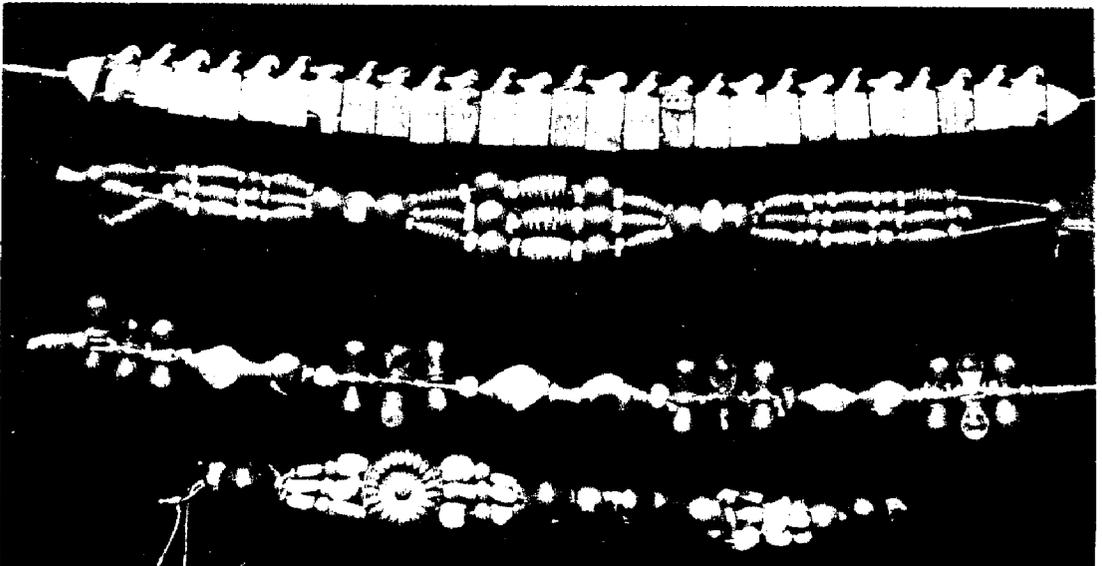
#### الصورة (٤٨)

مجموعة من الأواني والأطباق النحاسية ومائدة قرابين عثر عليها بمقبرة «إيدي» بمنطقة إيدوس والتي يرجع تاريخها إلى عام ٢٣٠٠ ق.م. وبالنسبة للأواني ذات «البيزون» نلاحظ أن البيزون قد صنع منفصلاً عن الوعاء، ثم تم تثبيته في جسم الوعاء بطريقة الدق المعروفة في الأعمال النحاسية. وهي نفس الطريقة التي اتبعت في عصر الأسرات المبكرة ولها شواهد كثيرة عثر عليها بمقابر أيدوس ومقابر سقارة. • محفظة بالمتحف البريطاني. تصوير: جون فريمان.

#### الصورة (٤٩)

أربع من الأساور عثر عليها ملفوفة حول ذراع مكفن بالكثان بمقبرة الملك «ديجوز» بإيدوس. ثلاث منها مصنوعة من قطع خزفية من الفيروز الأزرق المخضر، واللازورد الداكن الزرقاء، وحجر الجَمَشْتِ الأرجواني البنفسجي. أما الأسورة الرابعة [العليا] فصنوعة من رقائق مدككة من الخزف على شكل «سرخ» أو واجهة القصر ويظهر على كُلي منها صقر يمثل الإله حورس. ويرجع تاريخ هذه الأساور إلى نحو عام ٣١٠٠ ق.م. [قارن أيضاً الصور ٣٩، ٥٦، ٦٠].

• محفظة بالمتحف المصري بالقاهرة. والصورة مأخوذة بإذن خاص من متحف الفنون الجميلة بيوستن.



وقد تبين أنه بالنسبة إلى صناعة الأدوات الخفيفة كأسنان المناشير ونصال السكاكين فقد تمت باستخدام الطَّرْق على البارد، وذلك بعد تشكيل المعدن تشكيلاً تقريبياً أو تحضيراً طبقاً للشكل المطلوب. أما الأدوات الأثقل أو الأكبر حجماً كرؤوس الفؤوس والمعازق فقد استخدمت في صناعتها طريقة الطرق على صَبَّة المعدن الساخن حتى يمكن تشكيلها طبقاً للشكل المطلوب.

أما بالنسبة للحواف الحادة للأدوات القاطعة فمن المحتمل أنهم قد استخدموا طريقة طرق المعدن لترقيقه وشحذ حافته. وقد لوحظ أن هذه الطريقة كانت تعرض الأداة القاطعة إلى التهشم أو تجعلها سريعة العطب والكسر.

أما الطريقة التي اتبعت في ذلك العصر في ثقب عيون الإبر التي كانت تستخدم في الخياطة أو في تقطيع سنون المناشير، فتعتبر مشكلة لم يتمكن إلى الآن من حلها أو من معرفة الطريقة التي تمت بها، فمن المعروف أن مثل هذه الثقوب ما كانت تتم لولا استخدام مادة أخرى أكثر صلابة من النحاس. ومن المعروف كذلك أن قدماء المصريين في ذلك العصر كانوا لا يعرفون طريقة صنع البرونز.

ومن المحتمل أنهم قد استخدموا رمال الكوارتز في تخشين حواف الأدوات القاطعة المصنوعة من النحاس، كنصال وسنون المناشير. ومن المؤكد أنهم قد استخدموا هذه المناشير المصنوعة بتلك الطريقة في نشر وتقطيع الأحجار الصلبة في عصر بناء الأهرام. وذلك إلى جانب استخدام الأدوات المصنوعة من حجر الصوان التي ظلت مستخدمة إلى جانب الأدوات النحاسية حتى ذلك العصر.

وقد عثر على تماثيلين صدئين متآكلين مصنوعين من النحاس ويرجع تاريخهما إلى قرب نهاية عصر الدولة القديمة، ويمثلان الملك يبيي الأول وابنه [الصورة

١٢٠]. وقد صنع هذان التمثالان بطريقة طرق صحائف النحاس على قالب مصنوع من الخشب. ويبدو أن جذور هذه الطريقة ترجع إلى عصر أكثر قدماً، حيث عثر على نص مكتوب يشير إلى تماثيل من النحاس صنعت بأمر من أحد ملوك الأسرة الثانية.

## • الحلى والمجوهرات:

ومن الواضح أن الصاغة والجواهرجية لم يتخلفوا عن تيار التطور الذى لحق بالصناعة بصفة عامة. ولكن لسوء الحظ فإن الآثار المصنوعة من الذهب أو الالكتروم [ وهو مزيج طبيعى من الذهب والفضة ]<sup>(١١)</sup> والتى يرجع تاريخها إلى العصر العتيق تعتبر جد قليلة ونادرة، بعد أن أفلتت بأعجوبة من براثن لصوص المقابر فى مختلف العصور.

ومن أهم ما عثر عليه من الحلى المصنوعة من المعادن الثينة والأحجار الكريمة والتى يرجع تاريخها إلى العصر العتيق، أربعة أساور وجدت ملفوفة بلفائف الكتان. التى كانت تغطى ذراعاً آدمية كانت مدفونة فى مقبرة الملك «دجر» فى أبيدوس، ومن المحتمل أن هذه الذراع جزء من مومياء الملكة زوجة الملك «دجر»<sup>(١٢)</sup> [ الصورة ٤٩ ]. وبالنظر إلى أن الذراع قد وجدت مبتورة ومخبأة بأحكام داخل أحد الشقوق بجدران المقبرة، فمن المحتمل أن يكون اللص القديم الذى اشترك فى عمليات نهب هذه المقبرة قد فوجئ بأمر ما، فأثر أن يقوم باختفاء الذراع بداخل هذا الشق لكى يعود إلى غنيمته فيما بعد، ولكن الظروف قد حالت دون اتمام الجريمة.

وتدل هذه الأساور الأربعة على مدى الروعة التى بلقتها صياغة الذهب، ومدى الدقة والذوق الرفيع فى تنضيدته بالأحجار الكريمة كالفيروز الأزرق المخضر، واللازورد السماوى الزرقة، والجمشت الأرجوانى الذى يميل إلى البنفسجى. وقد

---

(١١) قد يكون هذا المزيج من الذهب والفضة من فعل الطبيعة أو من فعل الإنسان. فإذا كانت السبيكة تحتوى على نسبة أقل من ٢٠% من الفضة سميت مع ذلك ذهباً. أما إذا زادت نسبة الفضة على ٢٠% وظلت محتفظة مع ذلك بلونها الأصفر فتسمى «إلكتروم» وهى تسمية رومانية، أما الإغريق فقد كانوا يسمون هذا المعدن «الكترن». وقد وجد هذا المعدن طبيعياً فى مصر حيث فضل المصريون القدماء منذ عصر بداية الاسرات استخدام هذا المعدن بكثرة فى نفس الأغراض التى كان يستعمل فيها الذهب، سواء فى صنع الحلى والمجوهرات أو فى كسوة وتذهيب الخشب والأثاث والتوابيت الخشبية المذهبة. [ المترجم ].

(١٢) الحقيقة انه ليس هناك دليل يؤيد نسبة هذه الذراع إلى مومياء زوجة الملك دجر، وليس هناك ما يدل على أن هذه العظام من ذراع سيدة [ المترجم ].

صنعت الأساور الثلاثة الأولى بطريقة تنضيد خرزات الأحجار الكريمة فى أشكال زخرفية ظلت متبعة فى صناعة الحلى فى العصور الطويلة التالية. أما السوار الرابع فهو مصنوع على شكل رقائى مدككة من الخرف تمثل كل رقيقة منها شكل «سيرنج» (١٣) أو واجهة قصر يقف فوقها الصقر حورس.

وفى مقبرة الملكة «نيت حُتَب» (١٤) بمنطقة أبيدوس، عثر على مجموعة من البطاقات الصغيرة Labels المصنوعة من العاج، كتبت على كل منها مجموعة من الأرقام تحت رسم يمثل عقداً أو سواراً. ومن المؤكد أن هذه البطاقات العاجية كانت ملصقة على الصناديق التى كانت تحتوى على قطع الحلى التى دفنت مع الملكة، وأن هذه الأرقام كانت تشير إلى عدد الخرزات والأحجار الكريمة التى كانت تحتويها كل قطعة (١٥).

وأغلب الظن أن مقابر أبيدوس وسقارة التى يرجع تاريخها إلى عصر الأسرتين الأولى والثانية كانت تحتوى ولاشك على كميات كبيرة من الحلى الثمينة والمشغولات الذهبية. ومن الشواهد على ذلك ما عثر عليه فى مقبرة يرجع تاريخها إلى أوائل عصر الأسرة الأولى من بقايا بعض الأعمدة الخشبية المكسوة بصفايح

---

(١٣) الاسم المصرى القديم لواجهة القصر الملكى [الترجم].

(١٤) من المعتقد ان الملكة «نيت حتب» كانت احدى أميرات الشمال، وتزوجها الملك نمرمر وانجب منها الملك «حور عحا» الذى تولى العرش بعده. وقد عثر على قطعة من الحجر الجيرى فى إحدى مقابر حلوان حفر عليها شكل يمثل هذه الملكة. أما مقبرتها فتعتبر من أروع الآثار التى يرجع تاريخها إلى هذا العصر المبكر. ويبلغ طولها ٥٣,٤ متراً وعرضها ٤٦,٧ متراً [الترجم].

(١٥) كانت هذه البطاقات العاجية تلتصق بالأدوات والأشياء والحلى التى توضع بالمقابر عند الدفن. وتتراوح مقاسات هذه البطاقات ما بين ١,٢×١ سم و ٩,٥×٧,٥ سم. أما الكتابات أو العلامات والأرقام المدونة على هذه البطاقات فكان بعضها محفوراً وبعضها الآخر كان مكتوباً باللونين الأسود والأحمر. وتدل الأرقام على عدد حبات الخرز أو الأحجار الكريمة التى كانت تحتويها كل قطعة من الحلى. وكانت الأرقام التى وجدت على البطاقات التى عثر عليها بمقبرة الملكة «نيت حتب» هى على وجه التحديد ٧٥، ١٢٣، ١٦٤ [الترجم].

الذهب على شكل أشرطة طويلة ولايفصل بين كل شريط منها سوى مسافة لا تتعدى سنتيمتراً واحداً<sup>(١٦)</sup>.

كذلك فقد عثر في إحدى مقابر الأفراد بمنطقة «نجح الدير» والتي يرجع تاريخها أيضاً إلى عصر الأسرة الأولى، على مجموعة ثمينة من الحلى والمجوهرات تتضمن قطعاً ذهبية دائرية الشكل، وقطعة رائعة من الخرزات الذهبية شكلت على شكل قوقعة، وعلى تماثم وتعاويذ مصنوعة من الذهب على شكل الثور والبقرة الوحشى الافريقى.

### ● المشغولات الخشبية والعاجية:

وقد عثر في بعض مقابر الأسرة الأولى على بعض كسرات من المشغولات الخشبية المطعمة بالعاج، تدل على الذوق الرفيع للتجارين الذين قاموا بتصميم وصنع تلك المشغولات الخشبية الثمينة والتي تثبت أن هؤلاء الفنانين الحرفيين كانوا ميالين إلى تقليد طريقة عمل الزخارف التي كانت يصنعها نساجو الحصير وصانعو السلال الذين كانوا يستخدمون نبات الأستل أو السّمار فى تكوين الزخارف البديعة فى أعمالهم.

ونلاحظ أن الطريقة التي اتبعها النجارون فى نحت الأخشاب أو تطعيمها بالعاج كانت على درجة عالية من الكفاءة الفنية مكنتهم من إنجاز هذه المشغولات الخشبية وصقلها بهذه الطريقة الفذة التي لا مثيل لها فى أية حضارة أخرى من الحضارات التي كانت معاصرة للحضارة المصرية [الصورة ٥٠].

وهناك صندوق خشبى عثر عليه أيضاً فى إحدى مقابر الأسرة الأولى، يدل تصميمه وتقسيمه إلى أقسام غير متساوية على أنه كان يقضى بغرض عملى لحفظ أشياء غير متجانسة أو من أشكال مختلفة فى وعاء واحد [الصورة ٥١].

(١٦) تمكن المصريون فى ذلك العصر من التعامل مع الذهب بطريقتى السبك والطرق، واستطاعوا عمل اسلاك رفيعة من الذهب لنظم العقود، كما استطاعوا صنع صفائح رقيقة كانوا ينقشون عليها بالبارز والفائر، كما صنعوا منه رقائق لا يزيد سمكها عن ١/٥٠٠٠ من البوصة [أى نحو ١,٢٧، من المليمتر]. أما الصفائح فكان سمكها يتراوح ما بين ٠,٠٩ - ٠,١٧ - و ٠,٥٤ من المليمتر [المترجم].

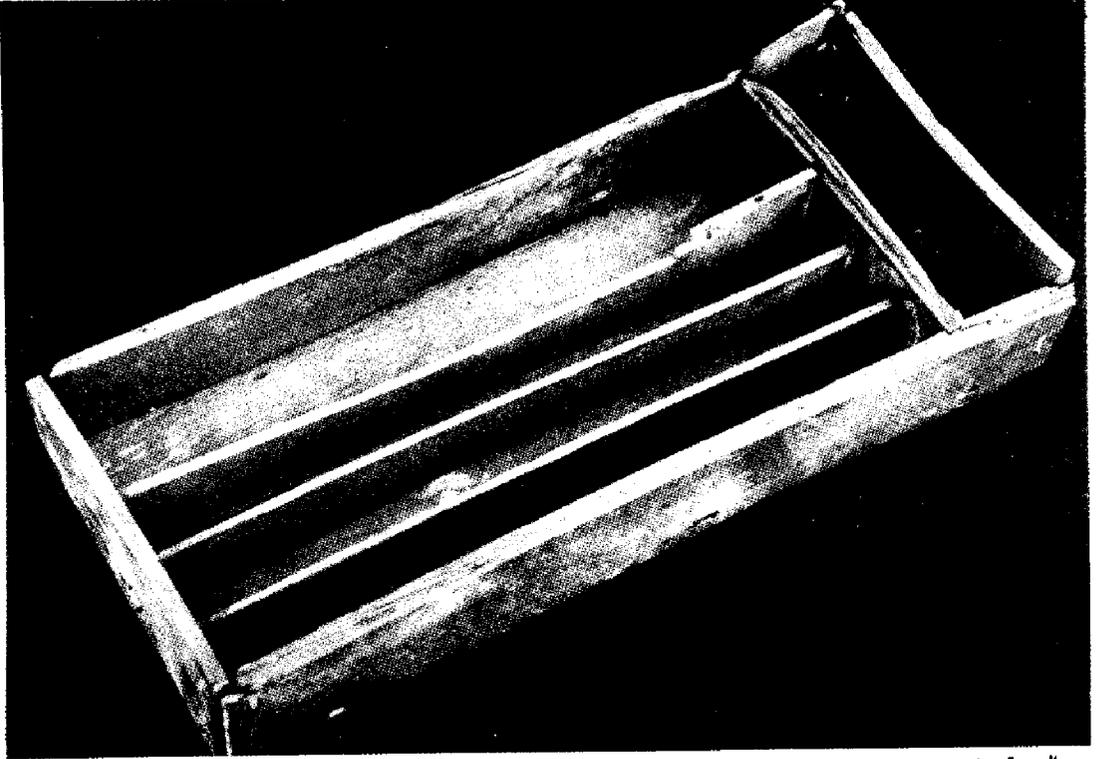
(٥٠)



الصورة (٥٠)

بقايا كرسي مصنوع من الأبنوس ، عثر عليها بمصطبة الملك «دجر؟» بسقارة . ونلاحظ أن الصانع قد خرط هذا الخشب الصلب وحفر فيه زخارف قصد بها تقليد مقاعد الكراسي المصنوعة من « الأسل أو السّار» وهونيات تستخدم أوراقه الاسطوانية الطويلة في عمل مقاعد الكراسي . ويرجع تاريخ هذه البقايا إلى نحو عام ٣١٠٠ ق م .

• محفوظه بالمتحف المصرى بالقاهرة . والصورة بإذن خاص من البروفيسور و.ب. إيميرى .



(٥١)

الصورة (٥١)

صندوق ذو أقسام متعددة، مصنوع من الخشب، عثر عليه بمصطبة الملك «دجر؟» بسقارة. ومن المحتمل أنه كان يستخدم لحفظ قطع إحدى اللبنيات التي كانت معروفة في ذلك الزمن .

• محفوظ بالمتحف المصرى بالقاهرة . والصورة بإذن خاص من البروفيسور و.ب. إيميرى .

أما أعمال تشكيل العاج ونحته فقد كانت تعتبر في العصر العتيق ميراثاً مستمراً لأصول الفن الذى بدأ منذ عصر ما قبل التاريخ. ولعل التمثال الصغير العاجى الوحيد الذى عثر عليه فى إحدى مقابر أيديوس والذى يمثل أحد الملوك مرتدياً عباءة الاحتفال باليوبيل الثلاثينى «حَب سِد» (١٧) ويبدو كما لو كان يهم بالخطو السريع إلى الأمام خير شاهد يعطينا فكرة كاملة عن مستوى فن نحت العاج فى ذلك العصر [الصورة ٥٢].

ومادنا نتكلم عن تلك الآثار النادرة التى يرجع تاريخها إلى العصر العتيق، فلا بد أن نشير إلى تلك التحفة الرائعة التى وصلت إلينا بمجالتها الأصلية الجيدة، وهى عبارة عن جزء من لعبة مصنوعة من حجر الاستيتايت الأسود [وهو حجر الطلق الصابونى الملمس] على شكل قرص مستدير نحت على أحد وجهيه شكل زخرفى يتألف من كلبين من كلاب الصيد يطاردان غزالين (١٨). وجميع هذه الحيوانات منحوتة من قطع من المرمر الوردى الرقيق ومثبتة على شكل القرص [الصورة ٥٣]. ونستدل من هذا القرص الرائع على المستوى الرقيق والدقيق الذى وصل إليه فن الرسم والتصميم ودقة الحرفى الفنان الذى انجزه، وهو المستوى الذى ظل سائداً فى الأعمال الفنية المماثلة التى انتجت فى عصور لاحقة من عصور الحضارة المصرية القديمة. كما نستدل أيضاً على الحس الفنى للتكوين الزخرفى الذى أوحى للحرفى الفنان بوضع عناصر عمله الفنى فى هذا التصميم وطريقته فى تنظيم وضع هذه العناصر بداخل الإطار الدائرى. وهذا الحس الفنى فى تصميم عناصر المنظر ظل سمة أساسية متبعة فى الأعمال الفنية المصرية طوال عصر الأسرات بأكمله. وهى السمة التى تميز الفنان المصرى بطريقته الخاصة فى تنظيم وضع عناصر عمله الفنى داخل الأطر المستطيلة والدائرية.

(١٧) ربما يرجع الاحتفال بهذا العيد إلى عادة وحشية قديمة مارسها القدماء فى عصور قديمة جداً، حيث كان لايسمح للحاكم أو لصاحب السلطة إلا بمدة ٣٠ عاماً فقط، وبعدها كان لابد من ازاحته سواء بالعزل أو بالقتل، على أساس انه لم يعد قادراً على ممارسة سلطات الحكم. وتحولت هذه العادة وأخذت طابعاً إنسانياً، فبدلاً من عزل الفرعون أو قتله، كان يحتفل بعد ٣٠ سنة من بداية حكمه باعادة تنصيبه وكأنه ملك جديد للوجه القبلى والوجه البحرى. ويرمز هذا الاحتفال اليوبيلى إلى انبعاث قوة جديدة فى الفرعون تمكنه من أن يبدأ عهداً جديداً [الترجم].

(١٨) عثر على هذه القطعة الفريدة فى نوعها ضمن قطع كثيرة أخرى بالمقبرة رقم ٣٠٣٥ بسقارة [الترجم].



الصورة (٥٢)  
تمثال صغير من العاج يمثل ملكا غير معروف . عثر عليه في  
أبيدوس ، ويظهر فيه الملك وهو يخطو إلى الأمام في الاحتمال  
البيويلى بعيد « حيث يسد » وهو ملتحف بعاءة فضفاضة  
مزخرفة بوحدات زخرفية على شكل « المعين » [ مربع متساوى  
الأضلاع ولكن به زاويتين حادتين وزاويتين منفرجتين ] .  
ويرجع تاريخ هذا التمثال إلى عام ٣٠٠٠ ق م . [ انظر أيضاً  
الصورة ١٠٣ ] .

(٥٢)

وعلى العكس من هذا المستوى الرفيع من العمل الفنى نجد مستوى أقل شأنًا  
يتمثل فى نحت وحفر العلامات والأرقام على البطاقات الصغيرة المصنوعة من  
العاج أو من خشب الأبنوس . وقد يعزى السبب فى ذلك إلى أن هذه البطاقات  
كانت من صنع كتاب يجيدون استخدام القلم أكثر من إجادة استخدام الأزميل  
[ قارن الصورتين ٥٤ ، ٥٥ ] .

أما الكتابات التى وصلت إلينا من هذا العصر فأهمها نموذجان وصلا إلينا  
ضمن كتابات كتبت فى عصر الأسرة الأولى .

وأحد هذين النموذجين عبارة عن بحث أو رسالة فى « الجراحة والطب »  
خصوصاً فيما يتعلق بعمليات كسور العظام ، ويستدل من هذا البحث على أنه يقوم  
على المنهج التجريبي فى التشخيص ووصف طريقة العلاج بالنسبة لكل حالة .



(٥٣)

الصورة (٥٣)

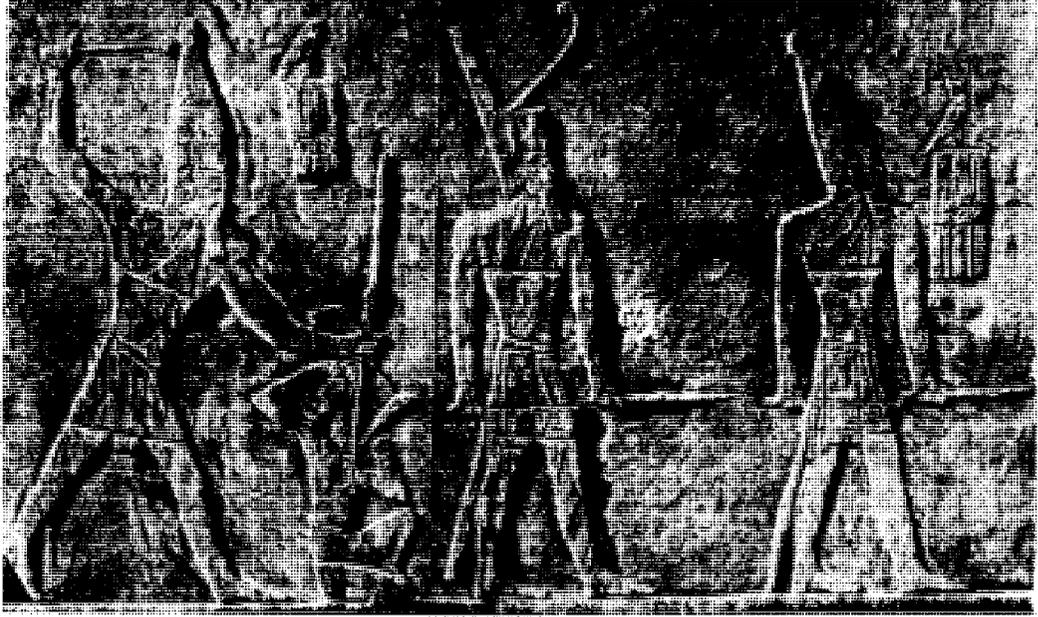
طبق مستدير مصنوع من «الطلق» أو الحجر الصابوني الأسود، من المحتمل أنه كان يستخدم في إحدى اللعب، وعليه نحت بارز قليلاً يمثل كلبين من كلاب الصيد بهاجان غزالين. ونلاحظ أن الغزالين وأحد الكلبين مصنوعين من الألماس الوردي وملصوقين على سطح هذا الطبق الذي يرجع تاريخه إلى عصر الأسرة الأولى وعثر عليه بمقبرة «حماكا» بسقارة.

• محفوظ بالمتحف المصرى بالقاهرة. والصورة بإذن خاص من البروفيسور ب. إيميرى.

أما النموذج الثانى فهو بحث فى «اللاهوت» يعزو عملية خلق العالم إلى «بتاح» إله منف. ومن الواضح فى هذا البحث أنه يتضمن رؤية علمية للعناصر الأولية التى يتكون منها العالم.

ويميل بعض الدارسين للحضارة المصرية القديمة إلى القول باعتبار هذا العصر العتيق الحافل بالعديد من أوجه الانشطة والمحاولات الدؤوبة للبحث عن الجديد ووضع أسس الأشياء، عصرأ غير مسبق بالنسبة للحضارات القديمة الأخرى،

تبلورت فيه قدرة المصريين القدماء على تلمس طريقهم في اتباع المنهج العلمى فى النظر إلى مظاهر الكون من حولهم .



(٥٤)

#### الصورة (٥٤)

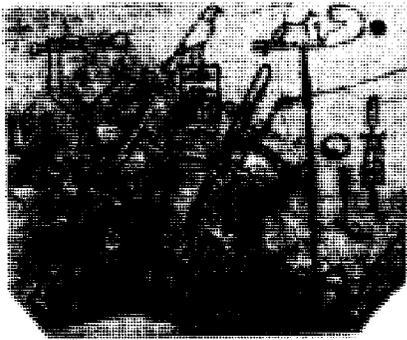
نحت على الحجر عثر عليه بوادى مغارة يمثل الملك « سيختم - نخت » وهو يصرع أعداءه فى وضع طقسى تقليدى ظهر فى الفن المصرى منذ العصر المبكر [ انظر الصورين ٣٤ ، ٥٥ ] .

• تصوير: جون فريمان .

#### الصورة (٥٥)

حلية من العاج كانت تستخدم لربط فردتى الصندل الخاص بالملك « دن » من ملوك الأسرة الأولى [ ٣٠٠٠ ق م ] . ويظهر فيها الملك وهو يؤذّب بدوياً . وتظهر كتابة هيروجليفيه معناها « تأديب الشرق لأول مرة » . وكانت هذه الطريقة البدائية الأولى لذكر السنة أو التاريخ الذى وقع فيه حادث معين .

• محفوفة بالمتحف البريطانى . والصورة بأذن خاص من أمناء المتحف .



(٥٥)